دخلت الشجن بسبب شهر زاد!

- عذارى شهريار...
- فى عوامة الراقصة..!
- النحاس وحمدى سيف النصر يسلطان علينا الإنجليز
- حسن ألبنا يهرب معى من وكيل الأخوان المسلمين
- حتى لو كان مصطفى النحاس!
- هل كان حسن ألبنا.. معنا؟

www.anwarsadat.org

بض البوليس على أبلر وساندى يوم الأحد، ومر بى يوم الاثنين وما سوف أن أعرف أن كانت صلتى بهما قد اكتشفت أو لا...

فعلى الإجابة عن هذا السؤال يتوقف مصيرى، كضابط فى الجيش.

وكمصرى حر يعيش حياته طليقا كما يعيش المصريون..

وقد يذهب الأمر إلى اكثر من هذا، فتتوقف على الإجابة على هذا السؤال: حياتى وموتى.

وأكثر من هذا.. أن نتيجة اكتشاف المخابرات البريطانية لصلتى بهذين الرجلين، كان يمكن أن كون المتاح الكبير الذى يفتح أمامها الباب لاكتشاف حقيقة تشكيلنا فى الجيش، هذا الذى ترامت أنباؤه إلى إنجلترا منذ شهور كثيرة، فأدت بها إلى افتعال حادث 4 فبراير،ومجابهة هذا التشكيل بقوة الوفد الشعبية فى ذلك الوقت.

ولم أكن أتوقع أن يقبض على سريعا، فقد كنت ارجح أن المخابرات البريطانية، وأن كانت قد اكتشفت صلتى بالجاسوسين الألمانيين، فهى لابد أن تتركنى تحت المراقبة فترة من الوقت، لتتمكن بهذا من وضع يدها على سر تشكيل الضباط كله...

كان هذا ما اعتقدته، ولكنى فؤجئت فى يوم الثلاثاء التالى، أى بعد يومين أثنين ممن القبض على الجاسوسين، بالقبض على وعلى زميلى حسن عزت.

ودهشت لهذا السرعة، وخيل إلى أن المخابرات البريطانية الساهرة، لم تكن غافلة عنا، وأنها قد وضعت يدها فعلا على كل أسرارنا وألا لتركتنى طليقا كطعم يوقع لها الصيد الثمين فى الشرك..

ولكن بعد ذلك، قابلت أبلر، وساندى، أثناء التحقيق، واخذ أبلر يشرح لى تفاصيل كثيرة، سمعتها يشغف، وتنفست بعدها الصعداء..

بلاد شهرزاد!

كان ساندى شأن أكثر الألمان ولوعا بالموسيقى الكلاسيكية الأوربية... ولم يكن المر كذلك، فقد كان على النقيض منع لا يحب ألا موسيقى الجاز.. تمتزج طرقاتها العنيفة بالخمر التى تدور برأسه، فتحيله كائنا عجيبا. نصفه لسان، ونصفه حيوان..!

وفى إحدى الأمسيات، جلس صاندى فى عوامة الراقصة حكمت فهمى، يستمع إلى موسيقى" شهر زاد " للموسيقار الروسى ديمسكى كورساكوف.. وكان أبلر مغيطا محنقا، يحاول أغراء صديقه للقيان معه إلى موعد حافل ضربه مع بعض الغوانى فى ملهى الكيت كات.. ,أصر سندى على سماع الموسيقى الخالدة حتى نهايتها، فوضع أمامه كأسا من الخمر، وأخذ يسمع ويحلم، ويتمثل فى خياله آخر مرة شاهد فيها هذه الباليه على مسرح من مسارح برلين..

ورويدا رويدا اندمج أبلر معه فى الاستماع إلى الموسيقى.

ولكنه لم يسلم نفسه لأنغام الموسيقى بقدر ما أسلم نفسه لهمسات شيطان أخذ يراوده..

وفجاه صاح بصديقه صيحة مخمورة:

- **ما كان أسعده هذا الملك.. شهريار...**

وضحك ساندى، وهو مسترسل فى أحلامه وقال:

- **كان يأتى كل ليلة بعذراء طاهرة.. يبيت معها ليلته.. ثم يذبحها فى الصباح**

وصاح أبلر، والخمر فى رأسه:

- **هكذا الحياة. ماذا ينقصنا نحن، لنكون مثله.!؟ أنا شهريار الثانى، وأنت شهريار الثالث...**

السنا فى بلاد آلف ليلة وليلة!!؟

- **أكنت تقرا مثلى قصص ألف ليلة وليلة أيام الشباب...**

فأجاب أبلر:

- **لقد كدت أطرد من المدرسة وأنا أقرؤها يوما فقد كانت معى الترجمة الحقيقة لها، بكل ما فيها من كلام لذيذ!!**

وسأله ساندى بخبث:

- **وهل تحب أن تذبح النساء...**

فأجاب أبلر...

- **ولماذا أذبحهن.. أعطيهن مالا... مالا من البنك الأهلى.. كم يكون لذيذا أن تعيش كل ليلة فى أحضان عذراء!**

وانتهت الموسيقى وخرج العربيدان إلى الكيت كات يقضيان سهرتهما.. ولكن خيال ألف ليلة وليلة لم يبرح ذهن أبلر وساندى فى تلك الليلة..فكانا كلما سكتت الموسيقى رفعا عقيرتهما بالحان شهر زاد، فتضج القاعة بالضحك على هذين" الإنجليزيين"– كما كانت تظن الراقصة! اللذين ذهب بعقلهما الشراب..

عذارى شهريار

ولم تمر الليلة على خير..

فقد اسر أبلر بأحلامه الحيوانية إلى إحدى صديقاته.. فضحكت الصديقة بخبث، ودخلت معهما فى مفاوضات، وأصبح أبلر بعدها شهريار الثانى، وأصبح ساندى شهريار الثالث أيضا...

وبدأت العوامة تستقبل كل صباح فتاتين جديدتين من بائعات الهوى، فى ثياب كثياب الطالبات.. يدخلان علي استحياء..

ويخرجان وقد امتلأت حقيبة كل منهما بمائتى جنيه!!

أخذتاهما من الرجلين باعتبارهما من العذارى!!

واشتهر أمر أبلر وساندى بين مجموعة من فتيات اليهود، اللواتى كن يقمن بهذه التمثلية العاطفية الفذة...

حتى كان يوم السبت السابق للقبض عليهما..

وكانت فى العوامة يهوديتان جاءنا لتمثل كل مهما دور عروس من عذارى شهريار...

وانتهى التمثيل.. والرجلان فى نشوة باللغة، من السكر الشديد، والخيال المنطلق..

وتهيأت الفتاتان للخروج.. ثم وقفنا فى انتظار الأربعمائة جنيه.. ودخل أبلر إلى غرفته، ليأتى بالنقود، ولكنه لم يجد سوى سبعين جنيها فقط، هى كل ما كان لديه من أوراق مالية مصرية..

ومد أبلر يده بالنقود إلى إحداهما فآخذتها ، وعدتها، ثم قذفت بها فى وجهه وهى تصيح:

- **أتسلبنى أعز ما أملك، بثلاثين جنيها؟.. أين باقى المبلغ؟**

وصاح فيها أبلر، وقد أغاظه منها تطاولها عليه.. وقال

- **ليس معي غير هذا.. هيا أخرجي قبل أن أذبحك كما كان يفعل شهريار...**

وارتجفت الفتاتان، وقد سمعتا كلمة" أذبحك" وخيل إليهما أن هذين" الإنجليزيين" قد يصنعان أي شئ دون أن يخشيا عاقبة أو حسابا.

ورأى الألمانيان هذا الهلع على وجه الفتاتين، فاستبدت بهما نشوة الخمر والانتصار...

وانطلق أحدهما يغنى نشيد" ألمانيا فوق الجميع" ثم شاركه الآخر، فكونا معا ثنائيا فريدا فى نوعه، ينشد نشيد هتلر..!

ولم يكن هذا النشيد مجهولا.. خصوصا فى أوساط اليهود..

فهزت إحدى الفتاتين رأسها، وجذبت الأخرى، ومضيتا، من العوامة إلى قلم المخابرات البريطانية.

وبعد ساعات قليلة.. كان أبلر وساندى فى طريقهما إلى السجن..!

أمام تشرشل.!

قص على أبلر هذه القصة التى تكشف عن خرافة المخابرات البريطانية فتظهرها على حقيقتها: ذهب كثير واعتماد على إغراء هذا الذهب للنفوس الضعيفة التى تخون وطنها فى سبيله.. فليست المخابرات أذن هى التى اكتشفت سر الجاسوسين.. ولكن الفتاة اليهودية التى أشرت على أن تأخذ جسدها مائتى جنيه، وسيان عندها أن تأخذ المبلغ من أبلر.. أو من مخابرات الإنجليز..!

وسألت أبلر بعد ذلك، على السبب فى القبض على ــ أنا وعزت وكنت قد بدأت أشك فى أن الفتى المجنون قد أعترف بالصلة التى قامت بينى وبينه.. فأطرق الالمانى إلى الأرض، ولم يجب، وكدت أنا انفجر غيظا، وأهوى عليه بقبضة يدى...

ولكنى كظمت غيظى... وانتظرت.

تشرشل

وظهرت لى الحقيقة كاملة عند ما علمت بعد ذلك، أن الجاسوسين قد أمسكا عن الكلام يوما كاملا.. ثم حملتهما المخابرات البريطانية حملا إلى مستر تشرشل وكان يزور مصر فى ذلك الوقت، فلما مثلا أمامه، وعدهما بحياتهما أن اعترفا بكل شئ...

واختار الجاسوسان بين الموت والحياة.. فاعترفا اعترافا كاملا.. وجاءا وبحسن عزت إلى السجن!!

حتى لو كان مصطفى النحاس

وبدأنا نرقب النهاية المحتومة لضابطين فى الجيش المصرى، يقبض عليهما بتهمة الاتصال بجواسيس الأعداء.. وقد كان الألمان فى ذلك الوقت هم أعداء مصر..!

ثم جاء اليوم الذى يتقرر فيه المصير.. فقد صدر أمر تشكيل المجلس العسكرى لمحاكمتنا، ودعينا للمثول أمامه.

ولم نكد ندخل حتى فوجئنا بما افقدنا الصواب..

كان المجلس مكونا من ثلاثة من ضباط المخابرات المصرية، وإنجليزيين. أحدهما برتبة ميجر، وأسمه جنكنز.

والثانى برتبة كابتن وأسمه سمبسون..

وضابط من البوليس المصرى كان أسمه كمال رياض..

وكان يبدو من تصرفاته وحركاته وأسئلته، إنجليزيا صميما لا يمت إلى المصرية بشئ..

وقد لا تهم القارئ تفاصيل المحاكمة.

فقد كان أهم ما فيها اعتراضنا على أن نحاكم كضباط مصريين، أمام ضباط إنجليز، ولو كانوا مخولين هذه السلطة من وزير الدفاع حينئذ حمدى سيف الدين، ومن رئيس الحكومة نفسه، مصطفى النحاس..!

بل لقد كان هذا التصرف من وزير الدفاع المصرى، ومن رئيس الحكومة المصرية، هو الخنجر الأول الذى طعنا به فى ذلك اليوم..

ولم يستطع المجلس العسكرى أن يحصل منا على شئ... لا اعترافات ولا إجابات...

لاشئ غير الاحتجاج العنيف.. ونظرات الاحتقار..

وتقرر وضعنا تحت الإيقاف.. ثم طردنا من الجيش فى 8 أكتوبر 1942 أى بعد حادث 4 فبراير بثمانية أشهر فقط..

ولم نكد نبرح مكاننا من الجيش، حتى تسلمتنا السلطات المدنية، فحملتنا إلى سجن الأجانب ثم رحلتنا إلى معتقل المنيا.

حلقة الاتصال بالإخوان

كان هذا الحادث، الذى انتهى بطردنا من الجيش واعتقالنا، نذيرا آخر بتأجيل العمل الحاسم الذى كنا تفكر فيه..

وكان كذلك بدءا لتطورات أخرى فى تشكيل الضباط الذى لم يتأثر موقفه بخروجنا من الجيش، ولم يتأثر بذلك موقفنا من نحن أيضا.

وكان نهاية صلات مع الأخوان المسلمين، وبدء صلات جديدة معهم فقد كنت أنا حتى ذلك الوقت حلقة الاتصال الوحيدة بين تشكيل الضباط وبين الأخوان المسلمين.

فلما انتهى الآمر باعتقالى، بدأت حلقة أخرى عملها..

وكنت حين قبض على، قد أجريت فعلا آخر اتصالاتى فى تلك الفترة معهم...

وكانت هذه الاتصالات فى نفس الفترة التى تم فيها اتصالى بالجاسوسين الألمانيين...

فقد كانت خطتنا إذ ذاك لإبادة الجنود الإنجليز العائدين من العلمين، قد تمت من الناحية العسكرية، وكانت استعداداتنا كافية فعلا..

وكنا قد بدأنا نفكر فى التنفيذ العملى.. فكان لابد لنا من أن نعاود الاتصال بالإخوان المسلمين لكى يكونوا هم القوة الشعبية التى تشاركنا باسم الشعب تبعات العمل الكبير...

وإذا قلت" الاتصال بالإخوان المسلمين" فإنما أعنى الاتصال المرحوم حسن ألبنا، فلم تكن لى صلة عملية بغيره.. أو هكذا أراد حسن ألبنا نفسه.. فقد كان كما قلت من قبل، أحرص ما يكون على أن يظل ما بيننا وبينه سرا خافيا على الجميع، حتى على كبار الأخوان أنفسهم...

وعندما بدأت الاتصال به للقيام بالعمل الفعلى الذى كان يعرف أننا ننويه. تكتم الآمر بينه وبين نفسه..

فقد ذهبت إليه حينئذ فى دار الأخوان وطلبت مقابلته لآمر هام، وكان الأستاذ السكرى وكيل الأخوان المسلمين موجودا معه، فإذا به يشير بأن أدخل إلى غرفة فى مدخل الدار، كانت مخصصة لشركة المعاملات الإسلامية.

وبذل رحمة الله جهدا كبير لكى لا == الأستاذ السكرى بأى حركة غير عادية، ثم تسلل إلى فى الغرفة من باب آخر لها، واخذنى من يدى فخرجنا متلصصين، إلى عربة نقلتنا إلى بيته بالقرب من دار الجماعة..

وأغلق ألبنا باب غرفته، واوصد الشبابيك، ثم مال على برأسه لكى يسمع ما أردت أن أنهيه إليه..

دور الأخوان

وفى تلك الليلة بسطت للمرحوم ألبنا كل التفاصيل، وتوسعت معه فى شرح دقائق الخطة العسكرية الموضوعة، وأفهمته حقيقة الدور الذى نريد أن يقوم الأخوان به، وحدود هذا الدور..

وأطرق ألبنا طويلا وهو يستمع لى ثم سكت فترة طويلة أخرى قبل أن يتكلم.. وعندما تكلم أجهش فى البكاء.!!

زمرت فترة وهو يتكلم..

كنت أنا خلالها كالمسحور.

قال كلاما كثيرا.. كلاما مثيرا أمتزج بالأيمان الشديد.. وكان واضحا جدا من كلامه أنه يؤثر مصلحة البلاد..

ولكننى عندما خرجت من عنده، سالت نفسى:

هل وعد الرجل بشيء.؟

هل احتضن خطتنا.؟

هل هو سيقوم بتنفيذ نصيب الأخوان منها.؟

وحرت فى الإجابة على كل سؤال من هذه الأسئلة.. فالواقع أن الرجل تكلم كثيرا وأثر فى نفسى كثيرا، وبكى من أجل مصر كثيرا.. ولكنه لم يعد بشئ ولا احتضن خطتنا.

ولا أفهمنى أنه مقبل على تنفيذ نصيب الأخوان من الخطة..!!

هل كان معنا!؟

ولكنك لو سالتنى حينئذ سؤالا من هذه الأسئلة، لما استعطت أن أجيب عليه أجابه قاطعة كما أستطيع أن أفعل اليوم.. فقد كان تأثيره الشديد على قد أبعد عن ذهنى كل شك.

أنه رغم عدم تقيده بأى وعد فهو معنا.. بقلبه ووجدانه وتفكيره.. وروحه أيضاً.

وكان أخطر ما أردت معرفته منه فى تلك الجلسة، وهو أن اعرف شيئا عن استعداداته من حيث الأسلحة.. فقد كنت على يقين أن الرجل يملك سلاحا، وأنه يختزنه ويعرف كيف يخفيه..

وكانت مباراة بينى وبينه.. أنا أريد أن اعلم واطمئن، وهو يباعد بينى وبين ما أريد مباعدة لبقة لا تكاد تشعر بها أبدا..

وفى جو الغموض والأسرار الذى كان يحوط نفسه به، ويحوط كل أعماله وكل جماعته، كان سهلا عليه أن يقنعك بأنه يملك سلاحا، وأن يقنعك بالا تسال عنه أبداً..

وأن يقنعك بأنه أعد فعلا جماعته للكفاح، وأن يقنعك بأن تحفظ هذا سرا بينك وبين نفسك...

وأن يقنعك بأنه معتمد على قوة كبيرة مخيفة مجهولة، وأن يقنعك أيضا بأن تؤمن بهذه القوة، دون أن تعرف عنها أى شئ..

وكان هذا أخر اتصال لى بحسن ألبنا قبل اعتقالى.

ولكن اتصالات جديدة بدأت عقب ذلك.

اتصالات بينه وبين ضابط آخر من ضباط تشكيلنا، واتصالات بينه وبينى أثناء هربى من المعتقل.

وكانت هذه الاتصالات الجديدة، صورة أخرى من صور الفصل الكبير الذى اشترك الإخوان معنا فى صفحاته.

www.anwarsadat.org